

التهجير القسري لسكان فلسطين في
العهد الصليبي في الفترة الواقعة بين
(٤٩٢-٥٥١هـ / ١٠٩٩-١١٥٦م)

د. جلال حسني سلامة*

* أستاذ مساعد ، منطقة نابلس التعليمية، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى تناول موضوع التهجير القسري للشعب الفلسطيني زمن الحروب الصليبية في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي والثاني عشر الميلاديين، وكان سكان فلسطين قد غادروا بلادهم قسراً إلى مصر وبلاد الشام وبخاصة دمشق وحلب، كما هاجر بعضهم إلى العراق؛ بسبب عمليات القتل والمجازر البشعة التي ارتكبتها الصليبيون في المناطق التي استولوا عليها، وقد تزامن ذلك مع ما كان يسود العالم الإسلامي من تمزق واضطرابات سياسية ومذهبية. وقد تناول الباحث في دراسته حال اللاجئين منذ رحيلهم عن الأرض والوطن حتى وصولهم إلى بلاد اللجوء وما عانوه من تعب وفقر وبطالة، وغيرها من الأمراض الجسدية والنفسية.

ويشير الباحث إلى تولي بعض اللاجئين مناصب إدارية ووزارية عليا في الدول المضيفة، وما قاموا به من دور كبير في توعية الناس، وحثهم على الجهاد، وتوحيد كلمة المسلمين، لتحرير الأرض الفلسطينية وعودة اللاجئين إلى مدنهم وقراهم وأراضيهم التي هجروا منها.

Abstract:

This study aims at investigating the forced displacement of the inhabitants of some cities in Palestine at the end of fifth century of the Hegira / the end of the eleventh Century to the Islamic territories in Egypt and Syria specially in Damascus and Aleppo. In addition, some emigrants sought refuge in Iraq because of the horrible massacres that the crusaders committed in the captured territories.

The dire events coincided with disunion of Islamic world countries and its domination with political and ideological problems.

The researcher indicated that some emigrants occupied top ministerial posts in the host countries, in addition to the role they played in enlightening and educating people, persuading them to fight and to unify the Moslems' world, in order to liberate Palestine and help return the refugees to their Palestinian cities, towns, and territories they were forced to leave.

مقدمة:

جاءت دعوة البابا أربان الثاني^(١) (Urban II) في مؤتمر كليرمون (Clermont) -جنوب فرنسا- في السابع والعشرين من تشرين الثاني ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م، لتجهيز حملة صليبية ضد المشرق الإسلامي، بحيث تكون وجهتها الأرض الفلسطينية "محور الكون" -كما وصفها المؤرخ الصليبي فوشيه الشارترى^(٢)، وفق تخطيط وتوقيت تزامنا مع ما كان يسود العالم الإسلامي من حالة تمزق وانقسامات سياسية ومذهبية دينية أدت إلى عدم استقرار الأمور في هذه البلاد، وألحقت ضرراً كبيراً بوحدة الجبهة الإسلامية أمام حملة الغزو الصليبي الأولى. كما كانت بلاد الشام التي استهدفتها تلك الحملة، تعاني وضعاً مفككاً، حيث توزعت مدنها بين أمراء وحكام يحذر كل منهم الآخر^(٣). وبلغ الخلاف المذهبي بين الفاطميين^(٤) الشيعة والسلاجقة^(٥) السنة أشده عندما بدأت قوات الغزو الصليبي تستولي على المدن الإسلامية، وقد رأى كل طرف في قدوم الصليبيين ما يحقق أهدافه في القضاء على خصمه أو الحد من سيطرته ونفوذه، مما مهد للغزو ودخول فلسطين والاستيلاء على بيت المقدس والمدن الداخلية والساحلية^(٦).

وقد عكست الظروف السياسية المضطربة في بلاد الشام والعراق من ناحية، ومصر من ناحية أخرى، وضعاً اقتصادياً واجتماعياً صعباً، فضعفت الحركة التجارية والصناعية والزراعية، وشاعت بين عامة الناس عادات شرب الخمر، وارتداد أماكن الترف واللهو، وارتكاب الآثام والفواحش^(٧). وأمام هذا الانقسام السياسي والمذهبي وما صاحبه من تدهور اقتصادي، جاء ردّ بعض دول العالم الإسلامي على الغزو الصليبي للأراضي المقدسة باهتاً وبخاصة الأتراك السلاجقة والخلافة العباسية السنية المناوئة للخلافة الفاطمية الشيعية، فلم يكن أكثر مما جاء في وصف بعض المؤرخين بقولهم: "وانزعج المسلمون في سائر ممالك الإسلام، بسبب أخذ بيت المقدس غاية الانزعاج"^(٨). واقتصر هذا الانزعاج في خطب المساجد ومجالس العلم والمناظرة، وعقد التجمعات العفوية والمنظمة، تضامناً مع سكان فلسطين واستياء من سياسة الصليبيين المتمثلة في عمليات الإبادة بحق المسلمين، فضلاً عن تفرغ الأرض من سكانها.

سياسة الصليبيين في تهجير سكان الارض الفلسطينية

تكلم نجاح الغرب الاوروبي في الدعوة للحروب الصليبية ضد المشرق الاسلامي، ومنها

الأراضي الفلسطينية بخطاب البابا أربان الثاني الذي حاول أن يجمع فيه - حسب ما ورد في بعض المصادر التاريخية - بين طموحات القادة الأوروبيين وكبار السادة الاقطاعيين الساعين من وراء هذه الحرب إلى تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية، وبين رجالات الدين وعمامة الناس الذين كانوا يلحون على ضرورة تخليص اخوانهم المسيحيين الشرقيين وكنائسهم من أعمال التخريب والتدمير التي تعرضت لها في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي على أيدي الأتراك السلاجقة والفاطميين حين يقول: "إن هذه الأرض التي تعيشون عليها يحيط بها البحر من كل جانب، وتحوطها قمم الجبال وهي لا تفيض بالثروات، وإنما تكاد تعجز عن توفير الغذاء لأولئك الذين يتولون فلاحتها ستكون الرحلة إلى الضريح المقدس للاستيلاء على تلك الأرض" (٩).

استغلّت الجيوش الصليبيّة الغازية حال الانقسامات السياسيّة وتردّي الأوضاع الاجتماعيّة في بلاد المشرق الإسلامي، فأقدمت، منذ أن وطئت أقدامها أراضي العالم الإسلامي، على استخدام أسلوب بثّ الفزع والجزع بين أهاليها الأمنين، واللجوء إلى ارتكاب مجازر جماعيّة وحشيّة بحقهم، عدا عن ممارسة أساليب الضغط النفسي، ومثال ذلك حرمان سكان المدن والقرى التي وقعت في قبضتهم من أداء شعائرهم الدينيّة بحرية^(١٠)، حملهم على الهجرة، تطبيقاً للسياسة التي اعتمدها الصليبيون في تفرغ الأرض من أصحابها الشرعيين وفي ذلك يقول المؤرخ الصليبي وليم الصوري (William of Tyre): "ليس هناك بلاء أشدّ بلاء بالمرء من عدوّ يكون له بالمرصاد وعلى الأبواب" (١١). ولما كان هذا البحث يتناول عمليّات التهجير القسري التي اتبعتها الصليبيون في الأراضي الفلسطينية، فإن الباحث لن يتعرّض لعمليات التهجير التي وقعت خارج حدود هذه المنطقة.

كانت المذابح والمجازر البشعة التي ارتكبتها قوات الغزو الصليبي في المدن والقرى التي وقعت في قبضتها قبل وصولها إلى الأراضي الفلسطينية كأنطاكية^(١٢) ومعرة النعمان^(١٣) - على سبيل المثال - وراح ضحيتها الآلاف من الرجال والنساء والأطفال وما تبعها من إصدار الأوامر بهدم بيوتهم وعقاراتهم بعد أن استولوا على ما فيها من سلاح وأموال وموّن^(١٤). وكانت تلك الأعمال قد أثارَت المخاوف الشديدة في نفوس سكان فلسطين، الذين علموا أن بيت المقدس أصبح وجهة الصليبيين الرئيسيّة، فبدأت جموع غفيرة منهم بحزم أمتعتها وتأمين مدخراتها وما استطاعت حمله من الحاجات الأساسيّة استعداداً للنزوح عن بلداتهم حرصاً على حياة أبنائها وأطفالها وشرف بناتها والتمسك بدينها وعقيدتها كما حدث مع معظم مواطني مدن يافا^(١٥) والرّملة^(١٦) الذين سارعوا إلى مغادرة منازلهم وممتلكاتهم فور

وصول الأخبار إليهم عن طريق العيون والجواسيس والمراقبين للتطورات العسكرية المتسارعة للصليبيين حول نيتهم اجتياح هذه المدن والاستيلاء عليها^(١٧).

وكانت سياسة تفرغ الارض الفلسطينية وتهجير سكانها عند الصليبيين قد بدأت ملامحها تظهر، عشية استيلائهم على المدينة المقدسة يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان ٤٩٢هـ/ الموافق الخامس عشر من تموز ١٠٩٩م^(١٨)، حين أقدمت قواتهم الغازية على ارتكاب مجزرة وحشية ذهب ضحيتها أعداد كبيرة من سكان المدينة، ويصوّر المؤرخ الصليبي المعاصر فوشيه الشار تري هذا المشهد بقوله: " وفي ساحة هذا البنيان - أي المسجد الأقصى - شن رجالنا هجوماً عنيفاً على الشرقيين، فلم يكن لهم من سيفونا مفر وقد قطعت رؤوس ما يقرب من عشرة آلاف شخص . . . ولو كنت هناك لتلطخت قدمك حتى الكواحل بدماء القتلى " ^(١٩). ويؤكد ذلك أيضاً المؤرخ وليم الصوري الذي قال إن الصليبيين قتلوا عشرة آلاف من المسلمين في ساحة المسجد الأقصى ومثلهم في شوارع المدينة وأزقتها.

كان من الطبيعي أن يدفع هذا النصر بالصليبيين إلى أن يواصلوا تنفيذ مشروعاتهم القاضي بالاستيلاء على المدن الفلسطينية الباقية في الجنوب والشمال وتفرغها من سكانها الشرعيين، فلم يكد الصليبيون يسيطرون على مدينة بيت المقدس حتى تحركت مجموعة من قواتهم صوب مدينة الخليل وأريافها التي اخذت تتهاوى بأيديهم الواحدة تلو الأخرى، ثم بسطوا سيطرتهم على المدينة نفسها بعد هجوم قصير وضعف مقاومة سكانها الذين أجبروا على الخروج منها ومغادرتها^(٢٠).

وواصل الصليبيون سياسة تهجير سكان المدن الشمالية الفلسطينية الأخرى أي منطقة إقليم الجليل^(٢١)، فاتجهوا نحو مدينة طبرية^(٢٢) التي استسلمت لهم بسهولة^(٢٣)، ويعود ذلك إلى جلاء معظم سكانها عنها عندما كانوا قد علموا بأبناء قدوم الحملة الصليبية الأولى ١١٠٠م/ ٤٩٣هـ^(٢٤)، وتبعها كذلك مدن الناصرة^(٢٥) وبيسان^(٢٦)، وبنجاح هذه المهمة استولى الصليبيون على الأجزاء الشمالية من فلسطين.

وبعد أن فرغ الصليبيون من إخضاع إقليم الجليل، كان لزاماً عليهم مد نفوذهم إلى المدن الساحلية لإحكام السيطرة على الجزء الأكبر من فلسطين الأهل بالسكان، فساروا نحو مدينة حيفا^(٢٧) وفرضوا عليها حصاراً شديداً انتهى باستسلام أهلها والمدافعين عنها في ١٨ شوال ٤٩٣هـ/ ٢٠ آب ١١٠٠م، أعقبها مجزرة شنيعة بحق سكانها الآمنين^(٢٨) الذين رفضوا - كما يبدو - النزوح عنها أو مغادرتها. بعد ذلك اتجهت القوات الغازية جنوباً نحو أرسوف^(٢٩) وقيسارية^(٣٠)، فاستولت على الأولى في السابع والعشرين من جمادى الأولى

٤٩٤هـ/ التاسع والعشرين من إبريل (نيسان) ١١٠١م^(٣١) . أما المدينة الثانية وهي قيسارية ، فقد استبسلت حاميتها في الدفاع عنها قرابة خمسة عشر يوماً اضطرها أهلها في نهاية الأمر إلى تسليم المدينة عنوة في الخامس عشر من جمادى الثانية ٤٩٤هـ/ السابع عشر من مايو (أيار) ١١٠١م^(٣٢) . ثم اضطروا جميعاً إلى مغادرتها بعد أن أقدمت القوات الغازية على إنزال أشد العقوبات والجرائم بحق سكانها وبخاصة الفتيات والنساء اللواتي تعرضن لسوء المعاملة والسبي واتخاذهن جواري وخادمات في منازل الأمراء والأغنياء من الصليبيين^(٣٣) . ويبدو أن شدة غيرة المسلمين على نساءهم وفتياتهم إلى جانب أساليب القتل والتعذيب والسجن كان وراء قرارهم جميعاً - إلى حد ما - بالنزوح عن المدينة ، ويؤيد هذا الأمر ما ورد على لسان السمعاني (ت ٥٦١هـ/ ١١٦١م) الذي زار المدينة أثناء خضوعها للحكم الصليبي بقوله : " دخلتها يوم الجمعة وقت الصلاة فلم أجد بها من المسلمين إلا رجلاً واحداً وأهله ، واستولت عليها الفرنج " ^(٣٤) .

ويرى الباحث أن مبالغة الصليبيين في قسوة معاملة سكان قيسارية وبخاصة مع نساءها وفتياتها أكثر من غيرها من المدن الساحلية يعود إلى أمرين ، الأول : معاقبة اللاجئين إليها من مدينة حيفا والانتقام منهم لمشاركتهم حاميتها في المقاومة والدفاع عنها^(٣٥) ، أما الأمر الثاني فكانت تهدف إلى نشر حالة من الخوف والرعب في نفوس سكان عكا^(٣٦) وإجبارهم على مغادرة المدينة واللجوء إلى مناطق أخرى للإسراع في بسط السيطرة الصليبية عليها . وعلى الرغم من ذلك كله ، فإن المدينة - أي عكا - استمرت في الصمود والمقاومة - ثلاث سنوات أخرى مما أجبر القوات الصليبية إلى الاستعانة بأسطول جنوا الإيطالية الذي تألف من سبعين سفينة حربية^(٣٧) ، فاشتد الحصار على المدينة إلى أن اضطرها أهلها إلى الاستسلام والموافقة على مغادرة المدينة في شعبان ٤٩٧هـ/ أيار ١١٠٤م بعد عشرين يوماً من التضحية والمقاومة^(٣٨) . ونخلص إلى أن استيلاء الصليبيين على المدن الفلسطينية الشمالية منها والجنوبية ، ثم إجلاء سكانها عنها بقوة السيف وتخريب المنازل ومصادرة العقارات ، قد شكل ركيزة أساسية في عملية التوطين والتوسيع الاستيطاني ، على الرغم من قلة عدد الأوروبيين في فلسطين في السنوات الأولى من سيطرتهم عليها ، وقد عبر المؤرخ الصليبي وليم الصوري عن ذلك ، بقوله : " وكان عدد سكان قطرنا قليلي العدد ، قلة ملحوظة ، ويعيشون في فقر مدقع ، حيث إنهم كانوا أقل من أن يشغلوا شارعاً من شوارعها " ^(٣٩) . وهذا الأمر يدل دلالة واضحة على عجز الصليبيين عن توفير أعداد كافية من الجنود والفرسان يمكنهم من بسط السيطرة الكاملة على الأرض الفلسطينية ، ووجه فوشيه الشارترى اللوم في ذلك إلى الفرسان والأمراء الذين

غادروا فلسطين بعد استيلائهم على المدينة المقدسة بقوله : " وقد بقيت أراضي القدس خالية من السكان لهذا السبب ، ولم يتوافر فيها من الناس من يدافع عنها لو أن الشرقيين جرؤوا على مهاجمتنا " (٤٠).

ولذلك نجد أن بعض المؤرخين المعاصرين يصف الملك الصليبي بلدوين الاول (٤٩٥-٥١٢هـ / ١١٠١-١١١٨م) ببعده النظر حين وافق على استراتيجية جديدة تحد من سياسة الإبادة او التهجير الجماعي لسكان المدن والقرى الفلسطينية ، فأصدر قراره بتشجيع المسيحيين في شرقي الاردن على القدوم إلى الارض الفلسطينية (٤١) ، ثم السماح للسكان المسلمين بالبقاء في بلادهم وأراضيهم بعد أن أدرك حاجة الممالك الصليبية الوليدة إلى الأيدي العاملة للعمل في مجالات التجارة والصناعة والزراعة (٤٢).

ومن الجدير ذكره هنا ان قضية نقص عدد سكان الأراضي الفلسطينية في هذه المرحلة قد تدوركت من كثير من سكان المدن والقرى التي استولي عليها ، ولذلك نجد أنهم يفضلون اللجوء إلى الريف الفلسطيني على اللجوء إلى بلاد الشام ومصر والعراق وغيرها من البلاد الإسلامية ، كما حصل مع عدد كبير من سكان حيفا الذين آثروا اللجوء إلى أريافها المجاورة بعد سقوطها بيد الصليبيين عام ٤٩٣هـ / ١١٠١م (٤٣) . وتتضح صورة لجوء كثير من سكان المدن إلى القرى إلى ما أورده الرحالة الألماني ثيودريش الذي زار البلاد في الفترة الممتدة من عام ٥٥٨-٥٦٩هـ / ١١٦٢-١١٧٣م عن وجود أعداد كبيرة من سكان البلاد الأصليين في القرى المحيطة بمدينة نابلس وأنهم يمارسون حرفة الفلاحة وزراعة الأرض بمختلف المحاصيل الزراعية (٤٤).

ومع هذا كله ، فإن سياسة الملك بلدوين الأول هذه لا تعني أن سياسة التهجير بحق السكان الأصليين قد توقفت تماماً ، فالصليبيون استمروا في مصادرة الأراضي وطرده أصحابها منها ، ووضع الخطط والاستراتيجيات لاستيعاب القادمين الجدد من الغرب الأوروبي بعد أن أخذت الأوضاع السياسية تميل إلى الهدوء والاستقرار ، إلى جانب عدم قدرة الفلاحين والمزارعين على تحمل الضرائب الباهظة التي كانت تفرضها المملكة على أراضيهم ، فضلاً عن الهجرة القسرية التي ظلت تلاحق من كانت السلطة الصليبية تعتبرهم يشكلون خطراً كبيراً على استقرار المملكة وأمنها ، كما سيتضح ذلك في أثناء عرض الباحث لهذا الموضوع .

ومهما يكن من أمر ، فقد نزحت مجموعات كبيرة من اللاجئين إلى خارج البلاد ، وهي تتحمل الظروف السياسية الصعبة السائدة في العالم الإسلامي ، إضافة إلى صعوبة المسالك والمرات التي كان عليها أن تسلكها بصحبة أبنائها وأطفالها وما استطاعت حمله من أمتعة

وحاجات ضرورية . ونسوق هنا الحالات التي جرى فيها خروج مثل هذه الموجات الجماعية ، فالحالة الأولى حدثت في بعض المدن التي خلت من سكانها قبل وصول القوات الصليبية إليها ، كما حصل مع سكان مدينة الرملة ، الذين جاء قرارهم بالنزوح عن المدينة ومغادرتها فراراً بأنفسهم وأموالهم قبل ذلك بيوم^(٤٥) ولا بد أن عدداً منهم قد رحل عنها قبل هذا الموعد خشية منهم أن يزداد الوضع خطورة .

ووقعت الحالة الثانية عندما اضطر كثير من سكان بعض المدن إلى مغادرتها سراً وفي عتمة الليل بعدما شاهدوا بأعينهم ما حل بإخوانهم على أيدي الغزاة الصليبيين ، الذين لم يتورعوا عن سفك دماء الشيوخ والنساء والأطفال واستباحة المنازل والمساجد ودور العبادة ، كما هو الحال في بيت المقدس عشية استيلائهم عليها ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م^(٤٦) . أما الحالة الأخرى ، فهي تلك الأفواج من المهجرين الذين اضطروا إلى الخروج من مدنهم بموجب اتفاق كان قد جرى توقيعه بين قادة حامياتها وقادة الصليبيين بعد حصار شديد استهدف ترويع السكان وتجويعهم ، عدا عن قيام الصليبيين بقصف أسوار المدن وبيوتها بالصخور والحجارة الضخمة وتدميرها ، ووقوع إصابات كثيرة في الأرواح^(٤٧) ، كما حصل مع سكان مدن أرسوف وعكا الذين شردوا وهجروا من أراضيهم إلى حيث شاءوا بموجب شروط قاسية مصطحبين معهم أطفالهم وأزواجهم وبعض ممتلكاتهم المنقولة^(٤٨) .

وهنا نلاحظ أن الغالبية العظمى من المهجرين في هذه المرحلة العصبية كانت تفضل اللجوء إلى البلاد الإسلامية الأخرى ، سواء إلى بلاد الشام أو العراق أو مصر على اللجوء إلى المناطق الريفية الفلسطينية التي كانت تشهد وجوداً ضعيفاً للقوات الصليبية ، ولعل ذلك يعود إلى احتمالات عدة ، منها : أن الغرب الأوروبي سوف يدعم هذا الكيان بكل قوة من خلال زيادة عدد أفراد الجيوش الصليبية يمكنها من بسط السيطرة الكاملة على كل المدن والقرى الفلسطينية ، والاحتمال الثاني هو قبول سكان بعض المدن بشروط الصليبيين برفع الحصار ووقف القتال مقابل الخروج نهائياً من الأرض الفلسطينية أو إلى مدينة عسقلان^(٤٩) جنوباً التي كانت لا تزال تحت سيطرة القوات الفاطمية المصرية^(٥٠) . أما الاحتمال الثالث فقد يعود إلى يقينهم ووقوفهم على ما شاهدوه أن القوات الصليبية وحكوماتها لن تتردد في ممارسة أعمال القتل والتعذيب والاعتقال واستخدام أساليب الحرب النفسية وتضييق الخناق الاقتصادي بحق من تبقى من السكان في فلسطين لإجبارهم على النزوح واللجوء إلى البلدان الإسلامية الأخرى .

فقد تعرض سكان الريف الفلسطيني وبخاصة في المناطق المجاورة لمدينة نابلس - على

سبيل المثال - لضغوط اقتصادية خانقة تمثلت في فرض الضرائب الباهظة على محاصيلهم الزراعية من قبل بلدوين - الابن الأكبر لباين دي ميللي Payen de Milly - الذي أقدم سنة ١١٥٦م / ٥٥١هـ على ارتكاب أعمال وحشية بحق سكان هذه القرى والتنكيل بهم في السجون والمعتقلات وصلت إلى درجة تقطيع الأرجل والأطراف، لإجبارهم على دفع مثل هذه الضرائب التي تفوق قدراتهم^(٥١). ولا بد أن سكان هذا الريف قد أُجبروا على دفع الضرائب على محاصيلهم الزراعية منذ حازت أسرة ميللي على نابلس كإقطاعية لتسديد نفقاتها ودفع ما يترتب عليها من التزامات مادية للملك الصليبي. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن بعض الصليبيين المعروفين بتعصبهم الديني، والذين امتلكوا مساحات من الأراضي الزراعية والأعمال التجارية المختلفة كانوا يجبرون العمّال المسلمين على العمل في أراضيهم الزراعية ومؤسساتهم التجارية أيام الجُمع والأعياد الإسلامية^(٥٢). ونفهم من هذا كله أن عمال فلسطين كانوا يحاربون بدينهم وعقيدتهم بطردهم وحرمانهم من مراكز عملهم إذالم يلتزموا بتعليمات أصحاب العمل، وقد يدفع بهم هذا إلى هجرة وطنهم بصحبة أفراد أسرهم وعائلاتهم فراراً بدينهم وبحثا عن لقمة عيش كريمة.

ولعل أقسى أساليب التهجير القسري الذي مارسه سلطات الغزو الصليبي للسيطرة على الأرض والثروة، لجوؤها في حالات عدّة إلى توجيه إخطارات للسكان في بعض القرى بضرورة مغادرتها طوعاً أو قسراً إلى قرى أخرى والإقامة فيها^(٥٣). فقد دعا الصليبيون في الثامن والعشرين من مايو (أيار) ١١٢٨م / ٥٢٣هـ إلى اجتماع دعا إليه الملك الصليبي بلدوين الثاني^(٥٤) في مدينة عكا وحضره حشد كبير من الأمراء ورجال الدين في المملكة الصليبيّة، وكان على رأس أعماله منح قرية كفر مالك^(٥٥) والضياح المحيطة بها إلى كنيسة القيامة^(٥٦) وتهجير سكان القرية الشرعيين إلى قرية بيت فوريك^(٥٧) بعد أن مارسوا بحقهم ضغوطاً نفسية واقتصادية^(٥٨) ويعتقد أن سكان قرية كفر مالك كانوا قد واجهوا هذه الخطة بمقاومة عنيفة - وإن اختلفت موازين القوى في العدة والعتاد واتخاذ الصليبيين الاحتياطات العسكرية المختلفة لمواجهة وقوع مقاومة تعبر عن رفض سكان القرية لقرارات الغزو الصليبي القسرية بإجلائهم عن بلدتهم وحرمانهم من استغلال أراضيهم الزراعية -، وليس من المستبعد أيضاً أن بعض أهالي القرية وبخاصة الشباب منهم والقادرين على حمل السلاح والمواجهة قد استشهدوا في الدفاع عن بلدتهم، وآخرون تعرضوا للاعتقال ومختلف أساليب التعذيب في السجون لإجبارهم على تنفيذ الأوامر العسكرية الصليبية بمغادرة القرية.

واستمر الصليبيون في اختلاق مختلف الأساليب والخطط الرامية إلى تفرغ الأراضي

الفلسطينية من سكانها، فقد عمدوا في كثير من الأحيان إلى دفع بعض ضعاف النفوس من سكان الأرض إلى التجسس ومراقبة نشاطات العناصر الفاعلة والداعية إلى مقاومة الوجود الصليبي ومشاريعه التوسعية والاستيطانية، وبخاصة العلماء والفقهاء الذين كانوا يدعون الناس من على المنابر وفي مختلف المناسبات الدينية والوطنية إلى التصدي للغزو الصليبي ومخططاته، والدعوة إلى التكاتف والوحدة ونبذ الخلافات الداخلية. وقد اتخذ العلماء والفقهاء من المساجد ودور العبادة مركزاً رئيساً للقيام بهذا الدور. فقد كرّس آل قدامة في قرية (جماعيل)^(٥٩) جل حياتهم في تذكير الناس بفضل الجهاد وأبعاد الغزو الصليبي لفلسطين، وبلغ من تأثيرهم على سكان القرى المجاورة وشحذ همهم في المساجد وحلقات العلم والوعظ أن الصليبيين أقدموا على وضع خطة ترمي إلى قتلهم أو زجهم في السجون^(٦٠). وعندما وصل إلى مسامع آل قدامة بجدية بما يخطط له الصليبيون، أخذوا يطلبون من أبناء أسرهم وذويهم والبالغ عددهم نحو (١١٥) فرداً إلى أخذ استعداداتهم كافة والخروج سراً باتجاه مدينة دمشق السورية^(٦١). ويبدو أن نجاح آل قدامة وما بلغوه من تأثير وحماسة في نفوس الأهالي قد جعل من جماعين وما يجاورها من القرى واحدة من المعاقل الرئيسية في تنظيم الناس بعامه والرجال بخاصة على التحدي والمقاومة، فجاء قرار الصليبيين بالإسراع في وضع الخطط التي تضمن لهم قتلهم أو اعتقالهم قبل أن تمتد جذوتها إلى باقي المناطق الفلسطينية.

بلاد اللجوء:

اندفعت جموع اللاجئين الذين طردوا من ديارهم ومن أراضيهم إلى البلاد والمدن الإسلامية المجاورة، حماية لأرواحهم وصيانة أعراضهم من خطر الجيوش الصليبية بعدما ترامى إلى مسامعهم عن عمليات القتل والتمثيل بجثث المسلمين، ناهيك عن سوء معاملة هؤلاء الغزاة للنساء بعد سبيهن وإجبارهن على العمل جواري وخادمات في بيوت الأمراء والأغنياء، أو استخدامهن في المتاجرة وعمليات البيع والشراء في أسواق المدن التي وقعت تحت السيادة الصليبية. وكان كبار رجالات الأعمال في المدن التجارية الإيطالية وبخاصة الجنويين منهم أكثر من اهتم بهذا النوع من التجارة^(٦٢).

تشكّلت أفواج المهجرين بين البلاد الشمالية والجنوبية الشرقية لفلسطين، فنجد أن مجموعات كبيرة من سكان بيت المقدس والقرى المجاورة وقيسارية قد ساروا شمالاً وأقاموا

في مدينة حلب (٦٣) وأقام مهجرو نابلس، كجماعين وجيت (٦٤) ومردا (٦٥) وعوريف (٦٦) في دمشق (٦٧). واستقر المقام بعدد كبير من لاجئي يافا وبيت المقدس وقيسارية وأرسوف في عسقلان ومصر (٦٨). في حين اتجهت مجموعات قليلة في هجرتها نحو العراق، وبخاصة من بيت المقدس وطبرية (٦٩). ويرجع ذلك إلى عوامل عديدة، من بينها الكثافة السكانية العالية في دمشق جرّاء لجوء أعداد كبيرة من المهجرين إليها بعد استيلاء الصليبيين على الرها (٧٠) وانطاكية وبعض المدن والقرى (اللبنانية) في أثناء سيرهم نحو المشرق الاسلامي (٧١).

أما العامل الثاني الأكثر خطورة، فقد يعود إلى اعتقاد عامة الناس أن مدينة دمشق سوف تصبح هدفاً رئيساً للصليبيين، لإدراكهم أن هذه المدينة قد تشكل خطراً على الوجود الصليبي وتكون نواة صلبة للمقاومة، نتيجة للجوء أعداد كبيرة من الرجال إليها. ومن ناحية أخرى، ربما فضّل بعض المهجرين مواصلة سيرهم نحو العراق، لاعتقادهم أن نجاح الصليبيين في توطيد أركان مملكتهم سيدفعهم إلى وضع خطة تهدف إلى حصار دمشق والاستيلاء عليها انتقاماً من الخلافة الأموية التي رسمت فيها خططها العسكرية وتسيير الجيوش الإسلامية نحو الغرب الأوروبي وتحقيق فتوحاتهم في بلاد الأندلس (إسبانيا). ومن هنا نجد أن الموجة الكبيرة من المهجرين والتي قدر عددها بحوالي ١١٥ من آل قدامة قد ساروا إلى دمشق ٥٥١هـ / ١١٥٦م (٧٢) وبعد فشل الحملة الصليبية الثانية على المدينة. أما لجوء أعداد أخرى من فلسطين إلى عسقلان ومصر، فإن ذلك يعود - كما يبدو - إلى أنها كانت أكثر أمناً من بلاد الشام من خطر الغزو الصليبي من جهة، ومن جهة أخرى اندفاع آلاف الشباب للانضمام إلى صفوف قوات الحامية الفاطمية التي ظلت تواصل مواجهة الصليبيين بحملاتها العسكرية (٧٣) وتوقع في صفوف قواتهم خسائر مادية كبيرة (٧٤) حتى استيلائهم على مدينة عسقلان ٥٤٧هـ / ١١٥٣م (٧٥).

أوضاع المهجرين الفلسطينيين في بلاد اللجوء

عاش المهجرون في بلاد اللجوء والغربة ظروفاً مادية وإنسانية واجتماعية عصيبة، تمثّلت منذ بداية الغزو بسرقة الصليبيين لأموالهم من الذهب والفضة والحبوب والزيوت، كما حصل مع سكان عكا وحيفا وقيسارية وغيرها، فقد أشارت بعض المصادر التاريخية المتوافرة أن القوات الغازية أقدمت على ممارسة أشنع صور التمثيل بجثث الضحايا وحرقتها لانتزاع الدنانير الذهبية التي يخبئها الأهالي في ثنایا ملابسهم وداخل أحشائهم (٧٦). وليس من المستبعد أن يكون كثير

من سكان الأراضي المقدسة قد حرصوا على أن يكتنوا الذهب والفضة والأموال وبخاصة بعد أن وصل إلى مسامعهم عن طريق التجار وأصحاب البريد ما حلّ بسكان الرّها وانطاكية وغيرها من أعمال طرد وتهجير قسري .

وإلى جانب الظروف المادية العصبية، فقد واجه المهجّرون صعوبات كثيرة تمثّلت في مسافات السفر الطويلة ووعورة مسالكها، حيث كان لا بد أن يجتاز المهجرون طرقاً بعيدة عن عيون الفرنجة، خشية أن يحل بهم ما حل بالمهجرين من مدينة أرسوف الذين تعرض كثير منهم لأعمال البطش والتنكيل والتمثيل بجثثهم، أو زجّهم في السجون وهم في طريقهم إلى بلاد اللّجوء^(٧٧). فقد ذكر المؤرّخ الفرنسي ألبرت دي إكس Albert d'Aix عن إقدام بعض قوات الأمير الصليبي جودفري البويوني^(٧٨) على ارتكاب مجزرة بشعة بحق عدد كبير من سكان مدينة أرسوف في فبراير (شباط) ٤٩٤هـ / ١١٠٠م في أثناء سيرهم جنوباً نحو بلاد اللّجوء إلى درجة أنه لم ينج من هذه المذبحة من بين المجموعات المهاجرة أكثر من خمسمائة نفر^(٧٩)، على الرغم من أنه كان قد جرى بين حامية مدينة أرسوف والجانب الصليبي اتفاق يقضي بتخيير سكان المدينة بين البقاء فيها والقبول بالواقع الجديد الذي فرضه الغزو الصليبي وكذلك الاستمرار في فلاحه الأرض وزراعتها بالكروم والأشجار المثمرة تحت إمرة الأمراء الصليبيين والإقطاعيين أو الرحيل عنها مع اصطحاب ما يستطيعون حمله من أمتعة وحاجات ضرورية أخرى^(٨٠). ولعل هذه الصورة تبيّن بجلاء أمرين اثنين، الأول: الحجم الكبير من المهاجرين من أطفال وشيوخ ونساء آثروا الخروج من ديارهم خشية أن يحل بهم ما حل بإخوانهم من ذبح وقتل وتشريد في المدن والقرى التي كانت تمر بها القوات الصليبية. أما الأمر الثاني، فإنه يشير إلى عدم التزام الجانب الصليبي - وهو في نشوة انتصاره - بكل التعهدات والمواثيق التي أخذها على عاتقه بتأمين سلامة النازحين وهم في طريقهم إلى بلاد اللّجوء . ولا شك أن صعوبة الطرق ووعورة مسالكها وشدة حرارة الجوّ أو قساوة برودته، عدا عن شحّ ما بأيدي معظم المهجّرين من نقود وأموال كافية لا يتباع ما يحتاجونه من أكل وشرب قد عرّض كثيراً منهم للموت أو الأمراض المعدية أو المزمنة . ونستطيع القول، إن المعاناة الشديدة من الجوع والعطش والمرض ظلّت تلاصق حياة المهجّرين في بلاد اللّجوء التي اختلفت عليهم في طقسها وظروف مناخها، كذلك ضعف إمكانياتها في توفير منازل وبيوت لإيواء الأعداد الكبيرة منهم، يقيهم حرّ الصيف وبرد الشتاء، فضلاً عن عجز المدن المضيقة في توفير فرص عمل أو مساعدات مادية تؤمن للاجئين حياة كريمة^(٨١).

فأسرة آل قدامة الجماعيلية ومن هاجر معها من القرى المجاورة بعد أكثر من خمسين عاماً

من وقوع الأراضي الفلسطينية في قبضة الغزو الصليبي ، قد تعرضوا المتاعب صحيّة وأمراض شديدة في مدينة دمشق ، بسبب ارتفاع نسبة الرطوبة فيها وانتشار الأمراض والأوبئة الناجمة عن اكتظاظ أعداد المهاجرين فيها ، ونقص الأدوية العلاجية ، إضافة إلى سوء التغذية وانتشار حالات الفقر والمجاعة^(٨٢) . ولا بد أن الأعداد الكبيرة من المهجرين والمشرّدين في بدايات الغزو الصليبي قد واجهتهم ظروف حياة أكثر قساوة وصعوبة من تلك التي ذاقها المهجّرون المتأخرون كآل قدامة ، سواء من لجأ منهم إلى الشام أو مصر أو العراق أو غيرها من البلاد المجاورة . إن السؤال الذي يثير الجدل هنا هو : كيف استطاع المهجّرون تسيير أمور حياتهم اليومية في بلاد اللجوء والغربة ؟

وللإجابة عن هذا السؤال ، يرى الباحث أنه على الرغم من قلة المصادر التاريخية المتوافرة التي تبين الظروف المعيشية والحياتية التي عاشها اللاجئون في الدول الإسلامية ، فإن هناك بعض الإشارات التي تتناول ظاهرة الفقر والبطالة الناتجة عن عدم توفر فرص عمل كافية للشباب والرجال القادرين على العمل ، سواء في فلاحه الأراضي وزراعتها أو في القطاعين الصناعي والتجاري . ولعل ذلك يعود إلى عاملين أساسيين ، أولهما : عدم قدرة القطاعات الزراعية والصناعية أو التجارية على استيعاب الأعداد الكبيرة من المهجرين . وثانيهما : اضطراب الأوضاع السياسية الناجمة عن الغزو الصليبي للمشرق الإسلامي وآثاره السلبية على الوضع الاقتصادي فيه .

وكانت الدولة الفاطمية في مصر قد بذلت جهودها في التخفيف من حدة هذه المشكلة وما قد تسببه من مشكلات اجتماعية أخرى ، كانتشار ظاهرة السرقة والسطو والنصب ، فلجأت إلى تقديم بعض المساعدات العينية والنقدية لسكان مدينة عسقلان من المهجرين^(٨٣) ، مساهمة منها في تخفيف حدة المعاناة التي أصابت معظم اللاجئين بعد اقتلاعهم من موطنهم مصدر رزقهم . ويبدو أن الحال ذاته ظل يواجه المهجرين في البلاد الإسلامية الأخرى طوال فترة الاستيلاء الصليبي على الأرض الفلسطينية ، وإن طرأ بعض التحسن مع الوقت . وتوضح هذه الصورة مما ورد على لسان ابن جبير الذي زار الأرض الفلسطينية ٥٨٣هـ / ١١٨٧م - أي قبيل معركة حطين بفترة وجيزة - عن حال المهجرين في دمشق وحلب وبغداد وغيرها ، بأن المسلمين الذين رابطوا في بلادهم وتصدّوا لكل أشكال العنف والتهجير ، قد عاشوا في رفاهية كبيرة تحت الحكم الفرنجي أكثر منها في الدول الإسلامية^(٨٤) .

فئات المهجرين الاجتماعية وطبقاتهم

تألّفت جموع المهجرين من طبقات وفئات اجتماعية مختلفة، فمنها من كان، تزاوّل حرفة الزراعة، وهي الفئة التي كانت تشكل غالبية سكان الأراضي الفلسطينية^(٨٥)، وأخرى كانت تعمل في قطاع الصناعة والتجارة الداخلية والخارجية^(٨٦)، والوظائف والخدمات كالوزارة والقضاء والمال والطب والعلاج وأعمال حرّة أخرى.

ومع أننا نجد جل المصادر الإسلامية المتوافرة تركّز على ما حلّ ببلاد المسلمين من عمليات تخريب، وتدمير، ومصادرة للأموال المنقولة وغير المنقولة، وما لحق بسكانها من أعمال قتل أو تهجير أو زجّ في السجون، فقد ورد في بعضها إشارات تبين فيها تكيف المهجرين مع الظروف الحياتية الجديدة التي فرضها الغزو الصليبي، وتقلّدهم مختلف المهن والحرف لتوفير لقمة عيش لهم ولأسرهم، كما جاء في كتاب ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) "بغية الطلب" أن بعض المقدسيين الذين لجأوا إلى حلب كانوا يمارسون حرفة زراعة أشجار الكرم وصناعة الرب من ثمارها^(٨٧). ولتحقيق فوائد ماديّة كبرى، فإنه ليس من المستبعد أن يكون بعض المهجرين قد ساهموا في إقناع أصحاب الأراضي في بلاد اللجوء وبخاصة في بلاد الشام بزراعة مساحات واسعة من الأراضي بأشجار الكرم بغية استخدامها في صناعة النبيذ والخمور وتسويقها إلى الصليبيين الذين كانوا يكثرّون من تناولها، وبخاصة في مواسم الاحتفالات والأعياد الدينيّة والوطنية، فضلاً عن المتاجرة بهذا النوع من الصناعة مع الغرب الأوروبي^(٨٨).

ويذكر في هذا الصدد، أنه على الرغم من حالة الحروب والعداء بين الجانبين الإسلامي والصليبي فإن التجارة كانت رائجة، فقد أشار المؤرخ الصليبي البرت دكس Albert d'Aix أن تجار مدينة عسقلان كانوا يسوقون بضاعتهم في مناطق الصليبيين في حين كان الصليبيون يذهبون إلى هذه المدينة للتبضع والتجارة دون خوف^(٨٩). كما أن قوافل التجارة الإسلامية كانت تعبر البلاد الواقعة تحت السيطرة الصليبية، ويقول ابن جبير الذي زار بلاد الشام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م بهذا الشأن: "واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الفرنج غير منقطع، واختلاف المسلمين من دمشق إلى عكا كذلك"^(٩٠).

وإلى جانب زراعة الكرم، اهتم اللاجئون بالعمل في الأراضي المخصصة لزراعة الأشجار والمحاصيل الزراعية المثمرة، وفي مقدمتها أشجار الزيتون التي تستخدم ثمارها في صناعة الزيت، حيث وجدت صناعته رواجاً كبيراً في أسواق العالمين الإسلامي والأوروبي. فعدا عن

استخدامه في صناعة مختلف أنواع الأطعمة والحلويات وإنارة البيوت والمساجد والكنائس والمحلات التجارية ليلاً^(٩١)، فقد استخدم كذلك في صناعة الصابون التي كانت تعدّ واحدة من الصناعات الشهيرة في بلاد الشام^(٩٢). أما المهاجرون إلى العراق ومصر، فيعتقد أنهم عملوا في زراعة الأشجار والمحاصيل الزراعيّة التي تتلاءم مع طبيعة التربة، كأشجار النخيل التي كانت ثمارها تعدّ مصدراً غذائياً رئيساً لسكان تلك البلاد إلى جانب بعض أنواع الخضروات والأشجار المثمرة.

وفئة أخرى من المهجرين - وهي قليلة نسبياً - ومن كانت ظروفهم تسمح لهم بحضور مجالس العلم، أو كانت لديهم خبرة في إدارة شؤون البلاد قبيل الغزو الصليبي، قد أتاحت لهم فرصة تولي أرفع المناصب في الدولة، كالوزارة والكتابة والقضاء، بعد أن لاحظ كبار مسؤولي الدولة المضيفة ما يتمتعون به من مهارة ودراية واسعة في تدبير مختلف شؤون الدولة الداخلية والخارجية، ومما يؤيد ذلك ما ذكره ابن العديم، أن خالد بن محمد بن نصر القيسراني - نسبة إلى قيسارية - قد تقلد منصباً وزارياً رفيعاً عند نور الدين محمود بن زنكي بحلب، وعهد إليه في كثير من الأحيان في أن يكون رسوله إلى صلاح الدين الأيوبي أثناء وجوده في مصر^(٩٣). وهو منصب لا يتقلده إلا من تميّز بالسريّة والأمانة، نظراً لحساسيته من ناحية ثم حساسيّة الفترة السياسية والعسكرية التي كانت تجري فيها المراسلات بين الشام ومصر من ناحية أخرى. وبلغ إخلاص خالد القيسراني لنور الدين محمود الذي حظي بتقديره وتعلّقه به أنه لم يتوان في أن يترك منصبه الإداري الرفيع عندما بلغه وفاة نور الدين بعد عودته من مهمة في مصر، حيث ترك مجال عمله في السياسة والعمل السياسي، وصرف اهتمامه إلى الاعتناء بالأرض والعمل الزراعي^(٩٤).

ويرد في بعض المصادر التاريخية أن بعض المهجرين في ديار الإسلام، ومنها مصر والشام، قد تقلدوا مناصب قضائية فيها، ومن هؤلاء أبو المعالي مجلي بن جمبج القرشي الأرسوفي - نسبة إلى أرسوف - الذي تولى القضاء في مصر ٥٤٦هـ / ١١٥١م^(٩٥) نظراً لنزاهته ومعرفته الواسعة بالعلوم الدينية والفقهية التي كان يتلقاها مع غيره من العلماء والشيوخ في بيت المقدس قبل وقوعه تحت السيطرة الصليبيّة^(٩٦).

ومن الأعمال والمناصب الأخرى التي شغلها بعض المهجرين في بلاد اللجوء الإسلامية، الإشراف على الأوقاف وإدارة شؤون البيمارستانات^(٩٧) (المستشفيات)، فقد ذكر ابن عساكر (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) في كتابه "تاريخ دمشق" أن الطبيب عبد الجليل المقدسي^(٩٨) قد وقع عليه الاختيار للإشراف على بيمارستان دمشق^(٩٩). ولعل اختيار هذا الطبيب في هذا المنصب

يعود لحذقه وخبرته في مجال الطب والعلاج هذا من ناحية ، ثم توكيله مهمة معالجة اللاجئين إلى دمشق ، الذين كانوا يتعرّضون لأمراض شديدة بسبب سوء التغذية أو بفعل حرارة الجو وارتفاع نسبة الرطوبة صيفاً وقساوة برودته شتاء وعدم توفر المساكن الصحية الناجمة عن اكتظاظ السكان من ناحية أخرى .

لم تقف أعمال بعض اللاجئين في ديار الإسلام عند تولي مناصب وزارية وقضائية وبیمارستانات فحسب ، بل شغل بعضهم مناصب إدارية أخرى تتميز بحساسيتها وخطورتها ككتابة الرسائل المتبادلة بين الحاكم أو الخليفة وولاته وقادة جيوشه ، وكان يشترط فيمن يتولى هذه الوظيفة السريّة والكتمان والأمانة ، إضافة إلى ملكة الخط في كتابة الرسائل^(١٠٠) . فقد ذكر ابن العديم أن سبب تقدم خالد القيسراني في بلاط نور الدين محمود يعود إلى مهارته في تدوين الرسائل وكتابتها^(١٠١) .

وعلى صعيد آخر ، لعب اللاجئون في البلاد الإسلامية وفي مقدمتهم العلماء دوراً كبيراً في توعية الناس ورفع روحهم المعنوية وحثهم على قتال الصليبيين لاسترداد الأراضي الإسلامية ومقدساتها ، ويرى الباحث أن هؤلاء العلماء كانوا قد وجدوا في خطب المساجد أيام الجمعة وحلقات الوعظ والإرشاد والتذكير بفضائل المسجد الأقصى وفضائل زيارته ، ثم تحين فرصة اجتماع المسلمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي كافة في مواسم العمرة والحج لتذكيرهم بممارسات الصليبيين في الأرض الفلسطينية ودعوة حكامهم وشعوبهم بعد عودتهم من أداء المناسك الدينية إلى توحيد الصف والكلمة لتحرير الأرض المقدسة وعودة اللاجئين إلى بيوتهم وأراضيهم التي طردوا منها . وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية المتوافرة لا تشير إلى هذا الأمر صراحة ، فإن اشتراك مجاهدين من الهند وفارس وغيرها من بلاد العالم الإسلامي في جيش صلاح الدين الأيوبي فيه دلالة واضحة على نجاح العلماء واللاجئين والمجاهدين في الدولة الإسلامية للالتقاء بالمسلمين بمختلف ألوانهم وألستهم وجنسياتهم الهندية والإيرانية والأفغانية والباكستانية وغيرها^(١٠٢) ، وهو نجاح غايته تحقيق الحد الأدنى من الوحدة الإسلامية والانطلاق بها نحو تحرير الأرض الفلسطينية من الغزو الصليبي بعد ثمانية وثمانين عاماً من سلب مقدراتها وتدنيس مقدساتها .

الخاتمة :

يتضح من دراستنا لهذا الموضوع أن الصليبيين نجحوا في تخطيطهم للاستيلاء على فلسطين وطردها سكانها منها، واتبعوا في سبيل تحقيق أهدافهم وسائل عديدة، فقد استخدموا عمليات القتل المبرمج ضد السكان فضلاً عن عمليات الضغط النفسي والاقتصادي، مستغلين حالة الضعف السياسي والخلاف المذهبي والطائفي التي كانت سبباً رئيساً في تمزق وحدة العرب والمسلمين وخذلانهم في مواجهة الغزو الاستعماري الذي هدف إلى احتلال الانسان والأرض ونهب مقدراتها. ولذلك نرى أن حماية الوطن وكرامته تقع دائماً على عاتق قادة الامة وعلمائها، وكذلك الفئات الواعية من الشعوب العربية والإسلامية الحريصة على دوام وحدة الصف والكلمة، وللحيلولة دون تغلغل الفئات الحاقدة أو ماتعرف " بالطابور الخامس " التي تستهوي سقوط الأمة والوطن في قبضة الغزو والاحتلال .

وتبين للباحث في دراسته أن التغير الديمغرافي الذي نتج عن تدفق آلاف اللاجئين إلى ديار الإسلام كانت له عواقبه الاقتصادية والاجتماعية والصحية السيئة، فلم تعد مدينة دمشق - على سبيل المثال - قادرة على استيعاب الأعداد الكبيرة منهم، مما أدى إلى تفشي ظاهرة الفقر والعوز الشديدين، وانتشار الأوبئة والأمراض المزمنة، وليس من المستبعد أن يكون ذلك واحداً من العوامل التي دفعت بالكثيرين إلى البحث عن مناطق أخرى كالعراق التي يتوافر فيها الحد الأدنى من الحياة الكريمة. و على الرغم من عبء المسؤولية الكبيرة التي وقعت على عاتق حكام بلاد اللجوء، فإنهم لم يدخروا جهداً في التعاون مع المهجرين ومحاولة التخفيف من معاناتهم، بالسماح لهم بالعمل والتملك وتقديم المساعدات العينية والنقدية للأسر والعائلات الفقيرة، كما هو الحال مع الدولة الفاطمية في مصر، إذ لم تتوان عن تقديم الأموال والغذاء للاجئين عسقلان بداية الاستيلاء الصليبي على الأرض الفلسطينية . ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل نجد أن حكام البلاد الإسلامية ومنها دمشق، قد لجأوا إلى دمج بعض اللاجئين في أجهزتها الإدارية المختلفة للافادة من خبراتهم ومهاراتهم التي كانوا يتميزون بها في أثناء توليهم مثل هذه المناصب في بلادهم قبل سقوطها والاستيلاء عليها، فضلاً عن رغبة الحكام في تخفيف ظاهرة البطالة وآثارها النفسية والاجتماعية .

ويرى الباحث أن المهجرين لم يتركوا للصليبيين أن ينعموا بوطنهم السليب، فوجد العلماء والشيوخ منهم أنفسهم أمام مسؤولية تاريخية كبيرة، تطلبت منهم توعية الناس بالخطب في المساجد ومجالس المحاضرة والمناظرة والالتقاء بمختلف الجنسيات من العالم الاسلامي في

مواسم الحج والعمرة والتجارة، وتذكيرهم بممارسات الصليبيين ضد الانسان والأرض والمقدسات الدينية وفي مقدمتها المسجد الأقصى الذي انتظر و ينتظر فك قيده من الأسر . ونخلص إلى أن كرامة الإنسان تبدأ وتنتهي في وطنه " مسقط رأسه ورأس آبائه وأجداده " ، فمهما نال من عز وجاه ومهما جمع من ثروة مالية أو مناصب حكومية رفيعة، فكرامته لن تكتمل إلا بالعمل على استعادة حقوق شعبه، وعودة كل المهجرين والمشردين إلى بلادهم ووطنهم الأم مهما طال الزمن .

هوامش البحث :

- (١) البابا أربان الثاني UrbanII ينسب إليه جميع المؤرخين المعاصرين الدور الرئيس في تحقيق الفكرة الصليبية، كفوشيه الشارترى وبطرس توديبود وغيرهم، ومما مهد له ذلك معرفته بالأوضاع السائدة في العالم الإسلامي، إضافة إلى تربيته وتنشئته الكونية. ينظر : الشارترى، فوشيه. تاريخ الحملة إلى القدس، ص ٣١-٣٧. وتوديبود، بطرس. تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص ٦١.
- (٢) الشارترى، فوشيه. تاريخ الحملة إلى القدس، ص ٣٢.
- (٣) ابن الأثير. الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٣-١٤. أبو الفداء. المختصر، ج ٢، ص ٢١٠. ينظر أيضاً، طقوش، محمد سهيل. تاريخ السلاجقة، ص ١٩٥.
- (٤) دخل القائد الفاطمي جوهر الصقلي مصر ٣٥٨هـ / ٩٦٨م واتخذ الفاطميون من مدينة القاهرة عاصمة لهم. وفي ٣٦٢هـ / ٩٧٢م، ركز الفاطميون اهتمامهم على تحويل المصريين إلى المذهب الشيعي، واتبعت الخلافة الفاطمية في ذلك وسائل عدة، من بينها : إسناد المناصب العليا وبخاصة القضاء إلى شعائهم المخالفة لشعائر السنين كالأذان بحَيِّ على خير العمل والاحتفال باليوم العاشر من المحرم ذكرى مقتل الحسين بن علي بكر بلاء العراقية. لمزيد من التفاصيل ينظر : المقرئزي. اتعاظ الحنفا، ص ٦٧-١٥٨، ٧٠. القلقشندي. صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٨٣. سرور، محمد جمال الدين. تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٧٦-٨٠.
- (٥) السلاجقة : مجموعة من قبائل الأتراك الذين عُرفوا باسم "الغز"، وقد بدأوا الهجرة من أقصى تركستان خلال القرون الثاني والثالث والرابع الهجرية تحت ظروف صعبة وقاسية، وهم ينتسبون إلى رئيسهم سلجوق بن دقاق الذي جمع شملهم ووحدهم تحت زعامته. ينظر : حسنين، عبد النعيم محمد. سلاجقة ايران والعراق، ص ١٦-١٧.
- (٦) لمزيد من التفاصيل عن أحوال العالم الإسلامي في هذه الفترة، ينظر : ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٨٧-٨٩، ٩٨-٩٩، ١٠٨-١١٣، ١١٨-١١٩. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٦٠-٤٦٣، ٤٩٨-٤٩٩، ج ٩، ص ٨-١١.
- (٧) الحموي، ياقوت. معجم الأدباء، ج ١٣، ص ٢١١-٢١٣.
- (٨) ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٧٩. الحنبلي، مجير الدين. الأنس الجليل، ج ١، ص ٣٠٨.
- (٩) الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص ٣١-٣٧.

Cf. also : James A. Brundage. The Crusaders , p.295. Riley – Smith. The Crusaders , pp.49-53.

لمزيد من التفاصيل عن هدم كنيسة القيامة على يد الفاطميين واضطهاد المسيحيين، ينظر :
Michaud , J.F., Histoire des Croisades , 7c e' dit , 1, p.24.

- تاجر جاك. أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى العام ١٩٢٢م، ص ١٢٩. قاسم، قاسم عبده. ماهية الحروب الصليبية، ص ٧٥.
- (١٠) ابن جبير. رحلة ابن جبير، ص ٢٤٩-٢٥١.
- (١١) الصوري، وليم. الحروب الصليبية ١٠٩٤-١١٨٤م، ج ٢، ص ١٨٠.
- (١٢) انطاكية: مدينة شمال سورية، ضمن لواء الاسكندرونة، أسس فيها الصليبيون إمارة منذ استيلائهم عليها ١٠٩٨م / ٤٩١هـ، واستمرت سيطرتهم على هذه الإمارة حتى استعادها المسلمون المماليك ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م. عن ذلك ينظر: عطية، حسين. إمارة انطاكية، ص ٨٢-٨٤.
- (١٣) معرة النعمان: مدينة عربية شمال سوريا تقع ضمن أعمال مدينة حمص. ينظر: المقدسي. احسن التقاسيم، ص ١٥٤.
- (١٤) ابن العديم. زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٤١-١٤٢. توديبود، بطرس. المصدر نفسه، ص ٢٦٢. جوانفيل. اعمال الفرنجة، ص ١٠٦.
- (١٥) يافا: تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوب قيسارية، ويأفا تحريف لـ"يافي Ya" الكنعانية بمعنى "جميل" ذكرت في النقوش المصرية باسم "يابو-Iapu Yapu" وحرّف اليهود اسمها الكنعاني العربي ودعوها "يافو-Yafu" وتعد يافا من أقدم مدن موانئ العالم. تعود بتاريخها إلى بنائها العرب الكنعانيين الذين نزلوا فلسطين منذ أكثر من ٤٥٠٠ سنة. استولى عليها الصليبيون في ١٧ حزيران ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م أي قبل سقوط بيت المقدس بيد الصليبيين بنحو شهر وصلت بعض السفن الجنوبية واستطاعت الاستيلاء عليها، ينظر: الدباغ. بلادنا. ج ٤، ص ٩٢، ٩٧-١١٤، ٩٨.
- (١٦) الرملة: تعد الممر أو الجسر الذي يصل يافا بالقدس، كما تصل شمال السهل الساحلي الفلسطيني بجنوبه، وهي بذلك تقع على الطريق الساحلي الذي يربط مصر ببلاد الشام والعراق وغيرهما. ينظر: الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، ج ٤، ص ٣٧١.
- Cf.also : Grousset , R., Histoire de Croisades , vol.I,p.96.**
- (١٧) الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص ١١٢. توديبود، بطرس. المصدر نفسه، ص ٢٩٤.
- Albert d'Aix. Historia Hierosolymitana , tom Iv , pp.591-594.**
- (١٨) ابن القلانسي. المصدر نفسه، ص ١٢٢. الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص ٧٤-٧٥.
- (١٩) الشارترى، فوشيه: المصدر نفسه، ص ٧٥. ولمزيد من التفاصيل عن حجم المأساة التي حلت بسكان المدينة المقدسة، ينظر: ابن الأثير. المصدر نفسه، ج ٩، ص ١٩. الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٧.
- (٢٠) سلامة، جلال. الاستيطان، ص ٩٦. Albert d'Aix. Historia, pp ٥٢٣-٥٢٤.
- (٢١) شمل اقليم الجليل كل الأراضي الواقعة بين نهر الليطاني شمالاً حتى جبال نابلس جنوباً، ومن شرقي بحيرة طبرية شرقاً حتى المدن الساحلية الواقعة على البحر المتوسط، ومن أهم مدن هذا الإقليم، طبرية والناصره وبيسان وصفد. ينظر: السيد، علي أحمد. إمارة الجليل، ص ٤٦-٤٧، ٥٨.

(٢٢) طبرية : في الشمال الشرقي من فلسطين على الشاطئ الغربي لبحرية طبرية في تلك الهوة المنخفضة من الأرض والمسماة بالغور ويمتد هذا المنخفض من جبال لبنان في الشمال وحتى خليج العقبة على ساحل البحر الأحمر في الجنوب . ينظر : شراب، محمد محمد . المرجع نفسه، ص ٤٩٨ .

(٢٣) ، pp . Op . cit . ، Albert d'Aix . ٥١٧-٥١٨ .

(٢٤) ينظر أيضاً : سلامة، جلال . المرجع نفسه، ص ١٢١، ٩٩ .

(٢٥) الناصرة : تقع داخل شمال فلسطين وترتفع عن سطح البحر ٣٥٠-٤٥٠ م . ينظر : الدباغ، مصطفى مراد . المرجع نفسه، ج ١، ق ١، ص ١٦٩ .

(٢٦) بيسان : تنخفض ١٣١ متراً عن سطح البحر، وتقع على بعد ستة كيلومترات من ضفة نهر الأردن، وفي العصر البيزنطي كانت عاصمة لفلسطين الثانية، وقد عُرفت بيسان بالاسم اليوناني "سكيثوبوليس" . لمزيد من التفاصيل ينظر : جونز . مدن بلاد الشام، ص ٢٠ . الدباغ، مصطفى مراد . المرجع نفسه، ج ١، ق ٢، ص ١٨٥-١٨٧ . Raoul de Caen . Gesta Tancredi ، pp . ٧٠٣-٧٠٤ .

ينظر أيضاً : سلامة، جلال . المرجع نفسه، ص ١٠٠-١٢١، ١٠١ .

(٢٧) حيفا : تقع على ساحل البحر، يحدها من الشمال عكا ومن الشرق الناصرة وجنين ومن الجنوب طولكرم وجنين، عرفت في القرن الرابع للميلاد باسم (Efa) وهي حيفا، وأقدم ذكر لها يعود إلى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي حيث ذكرها الرحالة ناصر خسرو المتوفي (١٠٦١م/٤٥٣هـ) ثم غادرتها (عكا) إلى قرية تسمى حيفا . ينظر : الدباغ، مصطفى مراد . المرجع نفسه، ج ٧، ص ٤٥٢-٤٨٦ .

(٢٨) الشارثري، فوشيه . المصدر نفسه، ص ١١٢-١١٣ . pp . Op . cit . ، Albert d'Aix . ٥٢٢-٥٢٤ .

(٢٩) أرسوف : مدينة فلسطينية كانت تقع على بُعد حوالي سبعة عشر كيلو متراً جنوبي قيسارية وعلى بعد سبعة كيلومتر شمال يافا، تم الاستيلاء عليها من قبل الصليبيين ١١٠١م/٤٩٥هـ، وعرفت هذه المدينة في العهد الإسلامي باسم صوزوسا Sozosa، ينظر : بورشارد . وصف الأرض المقدسة، ص ١٦٢-١٦٣ . جونز، أ. هـ . م، مدن بلاد الشام ص ١٢، ١٣-١٥ . شراب، محمد محمد . معجم بلدان فلسطين، ص ١١٠ .

(٣٠) قيسارية : تقع على الساحل الفلسطيني على بعد ٤٢ كم جنوب غرب حيفا . أول من بناها الكنعانيون وسموها "عبد عشروت" ، ولما جدد بناءها هيرودوس الكبير عام ١٠ ق . م أسماها قيصرية نسبة إلى قيصر الروماني . استولى عليها الصليبيون عام ١١٠١م وظلت بأيديهم حتى استردها الظاهر بيبرس وأمر بتدميرها . ينظر : شراب، محمد محمد . المرجع نفسه، ص ٦١٣ . عوض، محمد مؤنس . الرحالة، ص ٥٨ .

(٣١) ابن الأثير . المصدر نفسه، ج ٩، ص ٤٣ . الشارثري، فوشيه . المصدر نفسه، ص ١١٣ .

Albert d'Aix. op.cit., pp.514-515.

- (٣٢) ابن الأثير. المصدر نفسه، ج٩، ص٤٣. الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص١١٤.
cf. also: Benvenisti. op.cit., p.80.
- (٣٣) الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص١١٥.
cf. also : Benvenisti. p.249.
- (٣٤) السمعاني. المصدر نفسه، ج٤، ص٥٧٥.
(٣٥) Albert d'Aix. op. cit. ، p٥٣٢.
- (٣٦) عكا : شيدت على رأس مثلث داخل البحر لمسافة تصل حوالي ستمائة وأربعين متراً، في منطقة تحيط بها السهول والجبال، فسهل المدينة يمتد من شمال حيفا وينسبط بين البحر والتلال حتى رأس الناقورة، امتاز بالخصب لكثرة الأودية والأنهار التي تمر عبر أراضيه. واشتهرت مدينة عكا بمينائها الذي بني مع بداية تأسيسها في القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد على يد قبيلة جرجاشية الكنعانية التي أطلقت عليها اسم عكو Acco أو Akko بمعنى الرمل الحار. ينظر : خسرو، ناصر. سفر نامه، ص٥٠. شراب، محمد محمد. المرجع نفسه، ص٥٣٩، ص٥٤١. المنفي، احمد ظاهر. بلاد الشام، ص١٤٧-١٤٨. الدباغ، مصطفى مراد. المرجع نفسه، ج٧، ق٢، ص٤١٠.
(37) Alfio Brusa. Genoa ,E.B. 10. pp. 117-119.
- ينظر أيضاً : سلامة، جلال. المرجع نفسه، ص١١٤.
- (٣٨) الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص١٣١.
- (٣٩) الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج٢، ص٣١٧-٣١٨.
- (٤٠) الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص٧٩، ١١٢.
- (٤١) الصوري، وليم. المصدر نفسه ج٢، ص٣١٧-٣١٨.
- (٤٢) الدويكات، فؤاد عبد الرحيم، اقطاعية طبريا، ص١٢٩.
- (٤٣) Albert d'Aix. op. cit. ، p٥٣٢.
- ينظر ايضاً : أبو عون، عبد الرحيم حسين. اقطاعية حيفا، ص٥٠-٥١.
- (٤٤) ثيودريش. وصف الأماكن المقدسة، ص١٣، ١٢٥.
- (٤٥) الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص٧٠.
- (٤٦) ابن الأثير. المصدر نفسه، ج٩، ص١٩-٢٠. الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص٧٤-٧٥.
- (٤٧) الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص١٣١. أبو الفداء. المختصر، ج٢، ص٣٠٧.
- (٤٨) الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص١٣١. الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج٢، ص٢٤٦-٢٤٧.
- (٤٩) عسقلان : تقع على ساحل فلسطين على بعد ١٢ كم إلى الشمال من غزة، سقطت بيد الفرنجة عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م، ينظر : ابن الأثير. المصدر نفسه، ج٩، ص٣٩١-٣٩٣، عوض، محمد مؤنس. ص٥٦. شراب، محمد محمد. المرجع نفسه، ص٥٣٣-٥٣٤.

(٥٠) ابن القلانسي . المصدر نفسه ص ١٣٧ . ابن الأثير . المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٢١ . الشارترى ، فوشيه . المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

(٥١) كان الملك الصليبي بلدوين الأول قد منح نابلس ١١٠٨ م / ٥٠٢ هـ كقطاعية لأسرة ميللي Milly ، وكان باين دي ميللي أول من حصل على تلك الاقطاعية ، وهو ينتمي لإحدى الأسر النبيلة التي استقرت في فلسطين ، وترجع أسرة ميللي في أصلها إلى العنصر الفلمنكي (سكان بلجيكا) .
Jean d'Ibelin. Assises de Jerusalem , tome I , p.453. cf. also: King, R, The Kingths , p.139.

البيشاوي ، سعيد . نابلس ، ص ١٧٥ .

(٥٢) Mayer . The Crusades ، pp ١٧٧-١٧٨ .

(٥٣) الشارترى ، فوشيه . المصدر نفسه ، ص ١١٥ .

cf. also : Benvenisti. op. cit. , p.249.

(٥٤) بلدوين الثاني : تولى عرش المملكة الصليبية في الرابع عشر من ابريل ١١١٨ م / العشرين من ذي الحجة ٥١١ هـ . ينظر : الشارترى ، فوشيه ، المصدر نفسه ، ص ١٨٥ .

(٥٥) كفر مالك : قرية في الشمال الشرقي من مدينة رام الله . شراب ، محمد محمد . المرجع نفسه ، ص ٦٢٩ .

Genevieve , B,B. , op. cit, Acte no.43,44, pp.94-95.

سلامة ، جلال . المرجع نفسه ، ص ١٣١ .

(56) **Genevieve ,B,B.: Le Cartulaire du Chapitre Saint- Sepulcres, Acte no.43,44, pp.94-95.**

(٥٧) بيت فوريك : تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة نابلس وعلى بعد تسعة كيلومترات منها . الدباغ ، مصطفى مراد . المرجع نفسه ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ٢٩٢ .

(٥٨) البيشاوي ، سعيد . الممتلكات الكنسية ، ص ١٨٤ .

(٥٩) جماعين : تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة نابلس ، وعلى بعد ستة عشر كيلو متراً منها . ينظر شراب ، محمد محمد . المرجع نفسه ، ص ٢٦٨-٣٦٩ .

(٦٠) ابن طولون . القلائد الجهرية ، ق ١ ، ص ٦٨ .

(٦١) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٧-٧٣ .

(٦٢) الشارترى . المصدر نفسه ، ص ١١٥ . سلامة ، جلال . المرجع نفسه ، ص ١٢٢ .

Benvenisti. The Crusaders , p.249.

(٦٣) ابن العديم ، (ت ٦٦٠ هـ) بغية الطلب ، ج ٢ ، ص ١٠١١-١٠١٦ . السمعاني . المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٥١٣ .

(٦٤) جيت : تقع في الجنوب الغربي من نابلس ، على بعد ١٢ كم منها . الدباغ ، مصطفى مراد ، المرجع نفسه ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ٣٥٤ .

(٦٥) مردا : تقع جنوب قرية جماعين وعلى بعد ٢ كم منها. شراب، محمد محمد. المرجع نفسه، ص ٦٥٦.

(٦٦) عوريف : تقع في الجنوب من نابلس وعلى بعد ١٣ كم منها. الدباغ، مصطفى مراد. المرجع نفسه، ج٢، ق٢، ص ٣٦٢.

(٦٧) ابن طولون. المصدر نفسه، ج١، ص ٧٣-٧٦.

(٦٨) ابن خلكان. المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٥٨-٤٦١. ابن عساكر. المصدر نفسه، ج٤، ص ٤١.

(٦٩) السمعاني. المصدر نفسه، ج١، ص ١٠٩. مجير الدين الحنبلي. المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠٧-٣٠٨.

ابن خلكان. المصدر نفسه، ج٤، ص ١٥٤. ابن عساكر. المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٤٤، ص ١٠٧. ابن العديم. المصدر نفسه، ج٢، ص ٩٨١-٩٨٣.

(٧٠) الرها : أولى الامارات التي أسسها الصليبيون في بلاد الشرق، ومركزها مدينة أورفة جنوب تركيا حالياً. ينظر : الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص ٥١-٥٣. الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج١، ص ٢٦٥. سترانج، لي. بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٣٢-١٣٧.

(٧١) ابن القلانسي. المصدر نفسه، ص ١٢٥-١٤٤. ابن الأثير. المصدر نفسه، ج٩، ص ١٥-١٦.

(٧٢) ابن طولون. المصدر نفسه، ج١، ص ٦٨-٧٣.

(٧٣) براور، يوشع. عالم الصليبيين، ص ٤٥.

(٧٤) ابن القلانسي. المصدر نفسه، ص ١٣٧. ابن الأثير. المصدر نفسه، ج٩، ص ٢١. الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٧٥) ابن الأثير. المصدر نفسه، ج٩، ص ٣٩١-٣٩٢. أبو شامة. الروضتين، ج٢، ص ٧٧. البنداري. سنا البرق، ص ٢٩٤-٢٩٥.

cf0 also : Duggon ,Afred. The Story of the Crusades , p.158.

(٧٦) الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٧٧) الفيتري، يعقوب. تاريخ بيت المقدس، ص ٣٣-٣٤.

(٧٨) جودفري البويوني : هو أحد قادة الحملة الفرنجية الأولى، وقد عرف بلقب دوق اللورين السفلي، كان والده يوستاش من الشخصيات النبيلة، لدرجة أنه وصل إلى رتبة كونت، وهو لقب يطلق على النبلاء. ينظر : الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج٢، ص ١٤٥-١٤٦.

(79) Albert d'Aix. op.cit., pp.512-515.

(٨٠) سلامة، جلال. المرجع نفسه، ص ١٣٤-١٣٥.

(٨١) ابن طولون. المصدر نفسه، ج١، ص ٧٤.

(٨٢) الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٥٦.

(٨٣) ابن جبير. المصدر نفسه، (د. ط، بيروت، ١٩٦٤م)، ص ٢١.

(84) *Prawer, J., The Latin Kingdom, p361. , p.253.*

(٨٥) الدمشقي، الأنصاري (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، نخبة الدهر، ص ٢٠٠.

(٨٦) ابن العديم. المصدر نفسه، ج١٠، ص ٤٤١٣.

(٨٧) بورشارد. المصدر نفسه، ص ١٧٠.

(٨٨) سلامة، جلال. المرجع نفسه، ص ٢٩٨.

(89) *Albert d'Aix. op. cit. , p.516.*

(٩٠) ابن جبير. المصدر نفسه، ص ٢٦٠.

(٩١) سلامة، جلال. المرجع نفسه، ص ٢٩٨.

(92) *Benvenisti, M., op.cit., p.387.*

(٩٣) ابن العديم. المصدر نفسه، ج٧، ص ٣٠٩٦-٣١٠١.

(٩٤) المصدر نفسه، ج٧، ص ٣١٠١.

(٩٥) ابن خلكان. المصدر نفسه، ج٤، ص ١٥٤.

(٩٦) السمعاني. المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٦٣. عن ازدهار الحركة العلمية في بيت المقدس قبل الغزو

الصليبي يُنظر : ابن عساكر. المصدر نفسه، ج٤، ص ٦٠-٦١، ج٢٧، ص ٣٩٢-٣٩٤، ج٣٦، ص ١٤٨-١٤٩.

(٩٧) ابن عساكر. المصدر نفسه، ج٣٤، ص ٤١.

(٩٨) عبد الجليل بن عمر بن محمد بن بكران أبو محمد المقدسي المعروف بابن الخواتيمي الحنفي الشاهد

الطبيب، قدم دمشق بعد استيلاء الفرنجة على بيت المقدس واستقر فيها، وكان ينظر في أوقاف الجامع

ويتولى البيمارستان وتوفى بدمشق. ابن عساكر. المصدر نفسه، ص ٤١.

(٩٩) المصدر نفسه، ج٣٤، ص ٤١.

(١٠٠) ابن العديم، المصدر نفسه، ج٧، ص ٣٠٩٦-٣١٠١.

(١٠١) المصدر نفسه، ج٧، ص ٣١٠١.

(١٠٢) مجهول. الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ترجمة : حسن حبشي، (د. ط، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، ٢٠٠٠م)، ص ٨٠.

المصادر العربية:

- ابن الأثير . (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) . الكامل في التاريخ ، ١٠ اجزاء ، (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م) .
- ابن جبير . (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) رحلة ابن جبير (د . ط ، بيروت ، ١٩٦٤م) .
- ابن خلّكان . (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) . وفيات الأعيان ، ج ١ ، (د . ط ، دار صادر ، بيروت ، د . ت) .
- ابن طولون . (ت ٦٥٣هـ / ١٥٥٣م) القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية ، ق ٢ ، تحقيق : أحمد دهمان ، (دمشق ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م)
- ابن العديم . (ت ٦٦٠هـ) بغية الطلب في تاريخ حلب ، ١٢ جزء ، تحقيق : سهيل زكار ، (د . ط ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، د . ت) .
- ابن العديم . زبدة الحلب من تاريخ حلب ، (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .
- ابن عساكر . (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) ، تاريخ مدينة دمشق ، ٤٠ جزء ، (د . ط ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)
- ابن واصل . (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م) جمال الدين محمد بن سالم . مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ج ١ - ٣ ، تحقيق : جمال الدين الشبال ، (القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٦٠م) .
- أبو شامة . (ت ٦٦٥هـ) الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ٢ ، (د . ط ، بيروت ، د . ت) .
- الأنصاري الدمشقي . (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) ، شمس الدين ابن عبد الله بن ابي طالب المعروف بشيخ الربوة . نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، (د . ط ، بطرسبورغ ، ١٨٦٥م) .
- البنداري . (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) ، سنا البرق الشامي ، تحقيق : فتحية النبراوي ، (د . ط ، القاهرة ، ١٩٧٩م) .
- الحموي ، ياقوت . (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) . معجم الأدباء ، ٢٠ جزء ، ط ٣ ، دار الفكر ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .
- خسرو ، ناصر . سفر نامه . رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري ، ترجمة يحيى الخشاب ، (ط ٣ ، دار الكتاب الجديد ،

- بيروت، ١٩٨٣م).
- السمعاني. (ت ٥٦٢هـ / ١١٦١م)، الانساب، ٥ اجزاء، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، (ط١، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
 - أبو الفدا. (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) المختصر في أخبار البشر، ٤ أجزاء، (د. ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ت)
 - القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ١٤ جزء، (المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م).
 - ابن القلانسي. (ت ٥٥٥هـ / ١١٦١م) تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، (ط١، دمشق، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
 - مجير الدين الحنبلي. (ولد بالقدس ٨٦٠هـ). الأانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، جزاءن، (د. ط، مكتبة النهضة).
 - المقدسي. شمس الدين ابي عبد الله المعروف بالبشاري (عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، (د. ط، طبع في مدينة ليدن، ١٩٦٧).
 - المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م). اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، (د. ط، دار الفكر العربي، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م).

المراجع العربية والمعربة:

- براور، يوشع . عالم الصليبيين، (د. ط، مكتبة السروجي، عكا، ١٩٨٩م).
- البشاوي، سعيد . الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٠م).
- نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م، (ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م)
- تاجر، جاك . أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢، (القاهرة، ١٩٥١).
- جونز، أ. هـ. م. مدن بلاد الشام، ترجمة: احسان عباس، (ط١، دار الشروق، ١٩٨٧م).
- الحيارى، مصطفى . القدس تحت حكم الصليبيين، ١٠٩٩-١١٨٧م، القدس في التاريخ، (منشورات الجامعة الاردنية، عمان - الاردن، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- الدباغ، مصطفى مراد . بلادنا فلسطين، ١٠ اجزاء، (دار الهدى، كفر قرع، ١٩٩١).
- الدومنيكي، أوغسطين مرمجي . أصل كلمة الداوية، مجلة الشرق، عدد ٢٩، (بيروت، ١٩٣١).
- سترانج، لي . بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس ورفيقه، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م).
- سرور، محمد جمال الدين . تاريخ الدولة الفاطمية، (د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت)
- سلامة، جلال . الاستيطان الصليبي في الاراضي المقدسة ١٠٩٩-١١٨٧م/٤٩٢-٥٨٣هـ، (رسالة دكتوراة - غير منشورة - جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٤م)
- السيد، علي أحمد . امارة الجليل تحت حكم اللاتين ودورها في الصراع الصليبي الاسلامي، ٤٩٢-٥٤٩هـ/١٠٩٩-١١٥٤م) رسالة ماجستير - غير منشورة - (جامعة الاسكندرية - كلية الآداب - قسم التاريخ، ١٩٨٨م).
- طقوش، محمد سهيل . تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ٤٧١-٥١١هـ/١٠٧٨-١١١٧م، (ط١، دار النفائس، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص ١٩٥.
- عطية، حسين . امارة انطاكية والمسلمون ١١٧١-١٢٦٨م / ٥٦٧-٦٦٦هـ، (ط١، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩م).

- عوض ، محمد مؤنس . الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ، (د . ط ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٢م) .
- أبو عون ، عبد الرحيم حسين . اقطاعية حيفا ودورها في الصراع الاسلامي الفرنجي (٤٩٣-٦٩٠هـ / ١١٠-١٢٩١م) ، رسالة ماجستير - غير منشورة - (كلية الآداب ، جامعة النجاح الوطنية ، ٢٠٠٤م) .
- قاسم ، عبده قاسم . ماهية الحروب الصليبية ، (سلسلة عالم المعرفة ، عدد ١٤٩ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الصفاة - الكويت ، ١٩٩٠م) .
- محمد ، محمد شراب . معجم بلدان فلسطين (ط ١ ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ١٩٨٧م) .
- المنفي ، احمد ظاهر . بلاد الشام في الجغرافية العربية منذ مطلع الاسلام وحتى الحرب العالمية الاولى ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، (كلية الاداب ، جامعة دمشق ، د . ت) .

المصادر والمراجع الأجنبية:

-*Albert d'Aix. Historia Hierosolymitana, Ed. R.H.C-H. Occ., tom Iv, Paris, 1879. Anonymus. The Third Crusade, (N.D)*

اعتمد الباحث الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان: الحروب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) ترجمة: حسن حبشي، (الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٠).

-*Burchard of Mount Sion. A Description of the Holy Land, trans. by Aubrey Stewart, in P.P.T.S, vol. XII, (London, 1896).*

اعتمد الباحث الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان: بورشارد. وصف الأرض المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، (دار الشروق، عمان، ١٩٩٥ م).

-*Genevieve,B,B.Le Cartulaire du Chapiter Saint – Sepulcres, de Jerusalem, (Paris, 1948).*

-*Jecques de Vitry. The History of Jerusalem, trans. by Aubrey Stewart, in: P.P.T.S, vol. XI, (London, 1897).*

اعتمد الباحث الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان: يعقوب الفيثري. تاريخ بيت المقدس، ترجمة: سعيد البيشاوي، (ط١، دار الشروق، عمان، ١٩٩٨).

-*Jean d'Ibelin. Le Livre de Jean d'Ibelin, in Asseses de Jerusalem, tome I, (Paris, 1881), pp.451-468.*

-*Joinville, Jean de., Chronicles of the Crusades, trans. by R.B. Shaw, (London, 1980).*

اعتمد الباحث الترجمة لهذا الكتاب بعنوان: جان دي جوانفيل: القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة حسن حبشي، (ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨).

-*Raoul de Caen: Gesta Tancred in Expeditione Hierosolymitana, ed. R.H.C-H. Occ., tome III, (Paris, 1866), 587-716.*

-*Theoderich: Description of the Holy Land, trans. by Aubrey Stewart, in: P.P.T.S, vol.v, (London, 1894), pp.1-86.*

اعتمد الباحث الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان: ثيودريش: وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، ترجمة وتحقيق: سعيد البيشاوي ورياض شاهين، (ط١، دار الشروق، رام الله، ٢٠٠٣).

-*Tudebodus, P., Historia de Hierosolymitano Itinere, en: R.H.C-H. Occ, tome III, (Paris, 1866), pp.3-117.*

- اعتمد الباحث الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان: بطرس توديبود. تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة: حسين محمد عطية، (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٩).
- William of Tyre. A History of Deed Done Beyond the Sea, 2 vols. Trans. by Babcock and Key, (New York, 1943).*
- اعتمد الباحث الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان: وليم الصوري. الحروب الصليبية، ٤ أجزاء، ترجمة: حسن حشبي. (الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٤-١٩٩٥).
- Benvenisti, M. The Crusaders in the Holy Land, (Jerusalem, 1976).*
- Clude Cahen. The Turkish Invasion. The Silchukids, in setton, Vol.I*
- Duggon, Aferd. The Story of the Crusades, (London, 1969).*
- Grousset, R. Histoire de Crousaders et du Royaume. France de Jerusalem, 3Vols., (Paris, 1943-1946).*
- James A. Brundage. The Crusaders, Adocumentary Survy, (Milwaukee, 1962).*
- King, R., The Knighths Hospitallers in the HolyLand, (London, 1931).*
- Mayer. The Crusades, (Oxford University, 1972).*
- Michaud, J.F., Histoire des Croisades, 7c e'dit, 1.*
- Michel Burgueen. Mamluk Jerusalem, (London, 1987).*
- Prawer. Crusader Institutions, (New York, 1985).*
- Prawer, J. The Latin Kingdom of Jerusalem, (Jerusalem, 1972).*
- Richard, J. The Population of the Crusader States, in Setton K.M. Vol.v, (The University of Wisconsin, Press, 1985).*
- Riley Smith. (ed) *The Crusades.*